من قتلها ؟!

التجمع غير عادى فى « الوسعاية » .. فالحادثة تبعث على الفضول .. بل تثير الدهشة لحد الذهـــول .. الجريمة تمس الشرف .. والفاعل مجهول .. ودوافع الجريمة خافية على معظم الأهالى .. القلة يدركون الدوافع الحقيقية لها .. ما زال أهالى القرية يتوافدون أمام بيت الحاج شهاب .. والحاج شهاب .. لم يكن عمدة البلدة .. ولا واحد من شيوخها .. الا انه ذو سعة .. ومع ذلك فهو دائم الادعاء بالفقر والتظاهر بأسبابه .

المتجمهرون بلا دعوة ولا موعد .. وبلا حرج .. وقف منهم من وقف .. وافترش الباقون الأرض .. لا كلام بينهم ولا همس .. القلـق وحـده يساورهم ويسيطر عليهم .. تعبث أصابعهم بسبحهم أو فى لحاهم .. كل فى واديه مع نفسه وتصوراته .. والأفكار فى عقولهم تتخبط بلا ضابط ولا رابط .. وبلا حدود .. فالجريمـة بشعة .. لم تحـدث بالقرية من قبـل .. ولم يسمع بها أحد .

« الوسعاية » على الاطلاق ·· يشملها الصمت والوجوم ·· الا من صرخة تنطلق كل حين من داخل البيت ·· يعقبها غمغمة·· فى العيون لا دموع ولا صراحة ·· والمصيبة هائلة ·· وأهـــل الفتيلة وعلى رأسهم الحـاج شهاب والدها ·· جميعا حائرون ·· فكيف يلاقون الأهـــالى ؟ ·· أيلقونهم معزون مواســـون ·· أم شامتون ؟ ·· ومن بينهم القانصة الذين لا هم لهم الا اصطياد الأخبار واذاعتها مورمة ·

انقسمت الآراء فى الأذهان ·· فالعصبيون يقدرون القتيلة مذنبة فى حق نفسها وحق الأهالى جميعا ! والقلة العاقلة يتراءون بنفس المشاعر ·· لكنهم على ثقـة من براءتها ·· وأنهـا ليست مسئولة عن موتها بتلك الطريقة الشنيعة ·· ولديهم الدليل ·· لكن لا متسع للجدال ·· الأهم أن أهل القتيلة لم يكن فى قدرتهم أن يرفعوا رءوسهم أمام أهل القرية ولا أن يجهروا بما يعتمل فى نفوسهم وما تمليه عقولهم ·· والأمر أن هذه المشاعر وتلك الحادثة ·· ستلتصق بهم لأمد لا يعلم مداه الا الله ·· فينساها الناس أو يتناسونها ·· أو أن تحدث كارثة أخرى فتجتذب العقول ·· وتصبح شغل الناس الشاغل ·· الحقيقة ·· أنها لن تنمحى من ذاكرتهم ·· وقد تأتى المناسـبة فيتحاكون كما تتصـــور أخيلتهم ·· أى أنها ستصبح سبة فى جباه أهل القتيلة ·· قصر الزمان أم طال ·· يتوارثها الأبناء فالأحفـــاد ·· وقد يطلق على العائلة لقبا يشير الى الحادث ·· وبعد أجيال يذكر اللقب وينزوى الحادث فى طى النسيان ·· ليصـــاغ من جديد بعد اضافة أو حذف أو اختلاق ·· كما يروق الراوى طالما المستمعون ينصتون فى لهفة وشغف ·

منذ ساعتين ·· قامت القرية عن بكرة أبيها لرؤية القتيلة ·· تسابقوا وتزاحمـوا لرؤية جثتها وقد انحسرت ملابسها عن

ساقيها وفخذيها ·· وتمزق جلبابها فتدلى نهدها ·· والرأس مقطوعة بالقرب من الجثة ·· أوضح ما بها عينان ذاهلتان ·· وفم مفتوح ·· والشـــعر يفترش مساحة كبيرة من رقعة الدم حولها ·· المنظر بشع بشع ·· صدرت شهقات من الأعماق ·· شقت الصرخات الأفق ·· هوت أجساد ·· انطلقت السيقان هاربة ·· « طرقعت » ألسنة فى تأفف وامتعاض ·· !

حملت الجثة ومن خلفها زحف الزاحفون ·· جموع غفيرة شيعت جثة « نعناعة » ·· من الحقول حتى مشارف القرية ·· تسرب الكثير الى بيوتهم حيث يحلو لهم التشـــدق دون لائم أو معارض · تاركين أهل القتيلة يكابدون مرارة الفضيحة ·· وخبر الحادث كانت قد أشاعته الصبية « نعيمة » ذات الاثنى عشر ربيعا ·· ففى الحقل بين عيدان الذرة ·· جمدها الخوف من هول ما رأت ·· شدها الفضول وقرابتها لنعناعة ·· ومن بين الأعواد وقفت عيناها على ما جرى لقريبتها وبنت جنسها ·

« نعناعة » ابنة الحاج شهاب ·· أملح بنات القـــرية ·· وردة حمـــراء يانعة ·· على أوراقها قطرات الندى ·· تبرق فى عيون الفتيان ·· أولئك الذين تقدموا واحدا بعد الآخر لطلب يدها ·· ردت أياديهم جميعـــا ·· رفضهم والدها بحجة صغرها على الزواج ·· وبأنها تعين أمها فى شئون المنزل ·· وتعينه فى أمـــور الزراعة ·· أليست كبرى أولاده ؟ ! ·· ولم يخف على الفتيان مقصد الحاج شهاب ·· اذ أراد أن يرفع ســـعرها كأنها بهيمة ·· ولتحوم حولها العيـــون لحين مجيء صاحب الأطيان ليخطب ود الحاج شهاب فى جوهرته النادرة ·· فيغتنم الفرصـــة ليحصل على الكثير فيسد غائلة طمعه وجشعه ·· وليحقق فراسته فقد رآها بعين المستقبل عروسا فاتنة تخلب الألباب ويجنى من

ورائها الخير العميم ·· وقد أخفى سره فى نفسه ·· ولم يطلعه حتى على زوجته أم « نعناعة » ·· وكانت حين يستبد بها القلق بعد كل رفض ·· كان ينهرها ·· قائلا لها فى دهاء :

ـ ان ابنتنا زينة بنات القـــرية ·· وما رفضت الا انتظارا للعروس المناسب الذى يصونها ·· أنرمى لحمنا يا « ولية » ؟

وكانت تنفرج أسارير الأم ويطمئن بالها حين يهتف بسـؤاله الأخير ·· وتراه رجلا عاقلا وأبا حنونا ·· ولم ينقطع الحاج شهاب عن تدليل ابنته واطراء جمالها أمام الجميع ·· وكان هذا المديح يزيدها ثقة ·· وكانت حين تنفرد بنفسها ترسم لفتاها صـــورة بديعة ·· وتراه بعينى خيالها قادما ليخطفها على حصانه المطهم ·· وانتظرت « نعناعة » ·· وانتظر الأب ·· طال انتظارهما وما زال حلمهما فى غيابة المجهول ·· والأم يشتد قلقها على ابنتها التى اســتوت وحان قطافها ·· وقد فضلت السكوت حتى لا يرميهـا زوجها بالحماقة ·

كانت هناك بعض العيـــون تتفاهم وتتشاور ·· تلتقى فى الخفاء لتدبر أمرا ·· تقاربت اللقاءات ·· دارت مناقشات حول أفكار ·· تجسدت أخيرا فى فكرة بعينها ·· درست وحبكت ·· ولم يبق الا التنفيذ على وجه السرعة ·· وقبل أن يأتى الفارس الذى طالما راود خيال « نعناعة » ·

منذ أيام والعيون تترصد « نعناعة » ·· تخـــرج معها الى الحقل لتعـــود معهـــا ·· من بعيـــد ترقبها ·· وتترقب اللحظـــة المناسبة ·· الحاسمة ·

لم تقصد نعيمة رؤية الحـــادثة المروعة ·· لـــم تتربص بين أعواد الذرة من أجل الكشف عنها ·· فقط ساقها القدر اليها ·· نفس القدر الذى أعمى الذئاب عن رؤية نعيمة ·· وكان من الممكن

أن تتغير صورة الواقعة بشكل أو بآخر .. الا أن نعيمة شاهدت الواقعة .. فقد سمعت خشخشة عيدان الذرة .. التفتت لتقع عيناها على ثلاثة من الفتيان .. اتجهـــوا ناحية « نعناعة » التى ما زالت تحلم تحت السقيفة .. يهجمون عليها .. يغلق أحدهم فمها .. والثانى يحكم وثاقها بيديه .. ليصنع الثالث ما بدا له فى نهم ووحشية .. تنقلوها بينهم فى يسر .. ثلاثة نمـور جائعة انقضوا على غزالة وديعة .. لم تقاوم .. تنقلت عيناها بينهم فى توسل وضراعة .. وكم سهلت المهمة حين استسلمت وأغمضت عيناها وتراخت يداها .. شربوا حتى الثمالة .. وكانت المفاجأة .. حين قلبوها عبثا .. التقت عيونهم .. تفاهمت سريعـا .. أخـرج أحـدهم مديته لم يتـوان عن فصـل عنقها بقصـد التغميض والتضليل .. وفروا تاركين جثتها .. وقلب نعيمة يتخبط فى صدرها نقلت قدمها بصـــعوبة .. مشت فى حرص حتى مكان « نعناعة » .. ندت منها صرخة .. لوت رأسها وأسرعت شطر القرية تحكى لكل من يصادفها ... وقد حملت جثة « نعناعة » .. بأيادى عبثت بها .. ولم ترحمها فى موتها .. زحفت الجماهير .. الصمت لجام يعقد ألسنتهم .. اجتمعوا عليه .. وتفرقت انفعالاتهم وتباينت أفكارهم وكـــل خنق فكرته وحبس انفعـــالاته لحين العودة ...

دفنت جثة « نعناعة » .. والمتجمهرون ما زالوا أمام البيت الكبير .. الصمت يلفهم .. والوجوم يحتويهم وكل يخشى النظر فى عيـــون الآخرين .. ناسين جميعا قاتل « نعنـــاعة » .. الحقيقى ..

ولم يمض يومان بعد تلك الحادثة فتختفى نعيمة .. ويطول البحث عنها .. وبعد ثلاث أخر تطفو جثتها على سطح المصرف .. وقد فقدت ما فقدته « نعناعة » .. !!